

التمثيلات الثقافية ودلالاتها في رواية ترولارد لسمير قسيمي

أنموذجا

**Cultural Representations and its implications in the
nouvel Trollar's ladders Novel by Samir Kassimy as
a model**عبد الباقي عطا الله⁽¹⁾

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

مخبر النقد المعاصر وتحليل الخطاب

a.atallah@univ-setif2.dz

فتيحة كحلوش⁽²⁾

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

fatihakahlouche@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/12/21

تاريخ القبول: 2024/12/14

تاريخ الإرسال: 2024/09/08

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تناول التمثيلات الثقافية في رواية ترولارد لسمير قسيمي - دراسة في ضوء النقد الثقافي - هذا الأخير الذي يسعى إلى دراسة النصوص الأدبية و غير الأدبية وفق منجزات التحليل الثقافي، وقد حفلت الرواية بمجموعة من التمثيلات الثقافية و بخاصة، تمثيلات السلطة، تمثيلات الهوية، صورة المثقف...
الكلمات المفتاحية: تمثيل ثقافي؛ سلطة؛ مثقف؛ هوية؛ أسطورة.

Abstract:

The aim of this research paper To address the cultural representations in Samir Kossimy novel Ladlam Trullard - a study in the light of cultural criticism - the latter which seeks to study literary and non-literary texts according to the achievements of cultural analysis. Identity, the image of the intellectual...

* المؤلف المرسل: عبد الباقي عطا الله

Key words: Cultural representation power; culture; Identity; The legend

مقدمة:

عندما نخوض في عملية فهم رواية سمير قسيمي فإننا لا نستطيع تجاهل ذلك الزخم السردي الهائل - الذي يبدو مختلطاً/فوضوياً في اللحظة الأولى - ؛ لكن هذا الزخم المختلط سرعان ما سيتحوّل إلى ما يشبه شبكة عنكبوتية محكمة الترابط كل خيط يؤدي إلى الآخر، وبالتالي فإنّه يكون من الصعوبة إمساك خيط دون خيوط أخرى، ليس شكلاً فحسب، ولكن موضوعاتياً/ضمنياً كذلك؛ من هنا فإن النص الأدبي يكتسب خاصية النسق/النظام، فالنقد الأدبي الذي أحدث قفزة نوعية إلى نسق ذي وشائج معرفية خطابية ثقافية؛ له غايات إبلاغية مضمرة لا سبيل إلى تجاهلها، وبالتالي فنحن ملتزمون بإنقاذ النص من عزلته المعرفية التي ورطته بها الدراسات البنيوية والشكلانية من قبل، لأن شخصية ما من شخصيات مدونة سمير قسيمي سوف تتغير معالمها وآفاقها من زاوية نظر النقد الثقافي المتميزة عن زاوية نظر النقد الأدبي الموضوعي المخبري.. هذا ما يدفعنا طرح عدة تساؤلات: ما التمثيل الثقافي؟ و ماهي أهم التمثيلات الثقافية في رواية سلالم ترولارد؟

2- التمثيل الثقافي:

شاع هذا المصطلح في الوسط الأدبي المعاصر بتعاريف متعددة ثم ما لبث أن صار متداولاً في الوسط الثقافي فهو مصطلح مركب من كلمتين لهما زخم معرفي ودلالة فنية في الحضور الإبداعي فماداً يقصد بلفظة "تمثيل" ؟ يكتسي مصطلح التمثيل أهمية بالغة في الوسط الأدبي والثقافي فهو عبارة عن إسقاط للواقع في اللاواقع كونه " مجموعة العمليات التي من خلالها ترمز الممارسات الدالة أو تصف موضوعاً أو ممارسة في العالم الواقعي (الحقيقي) وبذلك فالتمثيل فعل رمزي يعكس الواقع، بينما في الدراسات الثقافية التمثيل لا ينطوي على مطابقة بعض العلامات و الأشياء"¹ حيث نجد تمايزاً ملحوظاً في تعريفات المصطلح كإدوارد سعيد الذي تناول فكرة التمثيل حيث جاء " بعدته الأدبية و طالب بقراءة متقصية لمفهوم (التصوير) أو (العرض) الذي قامت عليه المنهجيات الوضعية والواقعية: فكل تصوير (Representation) يقوم على مبدأ ومفهوم و منطلق غالب يتهياً له امتلاك الحقيقة"² ، وبذلك يتضح مصطلح التمثيل ليقترن بمصطلح شائع وهو الثقافة لتركب الاسم من شقين التمثيل والثقافة، ليتكون التمثيل الثقافي.

لذلك يمكن القول أنّ التمثيل ما هو إلّا صب لواقع من خلال النص ثم إعادة قراءة النص بمرجعية ثقافية مختلفة فالمصطلح "لم يأخذ من قبلُ صفة الثقافي إلا بعد أن صار النص ظاهرة ثقافية،

تجاوزت حدود اللغة والإبداع، بل أصبح مظهرًا تتجلى فيه مختلف الأنساق الثقافية، من دينية و اجتماعية وفكرية ... وغيرها ³ وإن لم يكن النص وحده فقد أسهمت الإبداعات الفنية والتلاحق الإنساني في فهم غربة الآخر وقراءة ما بين سطوره "فالتمثيل صار ثقافيا، بعد أن صار النص الأدبي ظاهرة ثقافية، وما دام النص يحمل خليطا من الأنساق الثقافية، كان ولا بد على "التمثيل" أن يطور إمكاناته وخصائصه حتى يُمْكِنُه أن يسع ذاك الانفتاح في دلالة النص الأدبي" ⁴ لقد اتضح الآن مفهوم المصطلح وارتبط بمفهوم النسق الثقافي لأن النص تحول من محتواه الأدبي البسيط إلى نص ثقافي يحمل في ثناياه العديد من المرجعيات والشفرات المبنوثة فيه، وصار بإمكان المتلقي السعي إلى فك رموزه فكل "اكتشاف للآخر إنما يتم عبر توسط المتخيل والصورة و التمثيلات التي تُكوِّنُها الثقافة عن الآخر وهو ما يدْعُمُ القول بأنه ليس ثمة "اكتشاف" في حقيقة الأمر، فالذات تجد الآخر كما كانت تريده أن يكون، وإذا وجدته على غير ما تريده أن يكون فإنها تجهد من أجل تحويله ليكون على الصورة التي رسمتها له وعلى الوضعية التي تريده أن يكون عليها، وعلى هذا فقد يكون اكتشاف الآخر نَفْمة على هذا الآخر المكتشف ⁵ ليس بالضرورة أن يكون التأثير و التأثير أداة هدم للآخر فقد تتوحد الرؤى مُشْكَلةً أسمى وحدة ولذلك " لا يمكن للنص أن يكون منعزلا عن السياقات الثقافية و الاجتماعية و الدينية، والميثولوجيا، فيتشكل متأثرا بما يدور حوله نتيجة تمازج عدة مرجعيات أحيانا، فينجر النص محاكيا للواقع من خلال تخيل و تصور ما هو واقعي لتمثيله بأساليب متنوعة، فيؤدي الذوق والشعور دوريهما في تقرير مدى تمثيلهما للواقع" ⁶ فالنص يتشكل و يتأثر بما يدور حوله من مختلف السياقات التي تجعل النص محاكيا للواقع من خلال تخيل و تصور و اعتماد على الذوق و الشعور . في تمثيلهما للواقع.

3- التمثيلات الثقافية في رواية سلالم ترولارد:

3-1 تمثيلات السلطة / نقد الدولة المستبدة

تحاول الرواية المعاصرة عن طريق التمثيل الثقافي تمثيل الواقع لكن ليس بصورة مطابقة له ولا ناسخة لأبعاده، ولكن لإضافة بعض العناصر الجمالية المستمدة من قوة المخيلة. ففي رواية "سلاّم ترولارد" يصور "سمير قسيمي" مشهد السياسي الحاذق في الكذب والنفاق والمقنع في آن واحد، فزوال فكرة تمجيد الثورة بعد رجوع بعض الأبواب وتعيين الرئيس المؤقت "موح بوخنونة" والسخرية الأكثر ظرفا بحكم أن جمال حميدي في منصبه وبعاثته يشبه الشعب وهو كل ما يحتاجه الأخير ... وأنه مقعد ومشلول، وهي صفة تجعله أكثر قربا من شعب، لم يعد يثق كما كان سابقا في الكائنات الممتازة والرجال الخارقين الذين فشلوا في حكمه لعقود ⁷. يقابل هذا متلق بائس يصدق الكلام المعسول للسياسي، لكي

يعود الإنسان بلا رأس ليغزو المشهد الثقافي في المدينة - الدولة من جديد، بسذاجته وعفويته، لأنّ هذا الأخير ما هو إلا صنّعة سياسية تمت قولبتها على يد "الرجل الضئيل" نفسه، حيث يصير مشهد "الرجل الضئيل" وهو يخاطب "جمال حميدي" تعبيراً عن إيديولوجية ومضمار سياسي يعطي دلالات عن "الدولة- المدينة" في رواية "سلاّم ترولار":

(قال الضئيل قبل أن يضيف:

أنت من النوع الذي أفضل. أقصد أنك مكثف بحياة تمارسها كما يجدر بأي مواطن صالح. تعيش حياتك بالقدر المسموح به فحسب. لا تسأل شيئاً، ولكنك تأخذ كل ما يعطى لك. بصراحة، أعجبتني جرأتك حين وقفت أمام الكاميرا، لتوهم الناس أنك تملك حلولاً لمشاكلهم (...)) هل تعرف كيف نسمي شخصاً كهذا؟

(... - نسميه سياسياً....)⁸ لا يمكننا التوقف عند مسألة اللغة الجميلة في هذا المقطع، أو لنقل إنه لا يمكننا اعتبارها مقطوعة أدبية صرفة بالغة الخيال، بالتالي فإننا عندما نضع على أكتفانا لبوس "الناقد الثقافي المتوجس" سوف نسمع هذه المقطوعة تصرخ بصوت مجوح متورط بأنها تحمل خطاباً له قيمة ثقافية ما، وأنها تمثل شيئاً ما؛ حيث يرغب "الرجل الضئيل" في أن يتحصل على مشروعية إنتاج الوهم ويريد أن يمررها إلى "جمال حميدي" الذي لا يكون سوى أداة يلعب بها شخص ما في "المدينة الدولة"، هذا كل ما يظهر في المقطوعة الملموسة، إن الغاية الأسمى من وراء التفسير الظاهري هي غاية أكثر خطورة بكثير؛ تتعداها إلى شطر آخر يمكننا أن نطلق عليه "الشطر الغائب" استناداً على ثنائية دريدا (الحضور/الغياب)؛ ومن ثمة فإنّ الطموح العالي للسياسي في "المدينة الدولة" - والمتعلق ببيع الوهم إلى الجمهور - ينم عن سذاجة شعبية طافحة ستبئ عنها الرواية تدرجياً في الشبكة السردية المتشابكة هذه، ولكن أفق التوقع حاصل لا محالة، فقط إذا كنا ثقافيين في توجهنا إلى النص؛ فإذا وضعنا في الاعتبار أن هذا ما تريد الإفصاح عنه هذه المقطوعة السردية، فما هو الشيء الذي تريد تمثيله؟

نحن نعتقد أن التمثيل في الحالة هذه يقوم على المضمر من المستوى الأول المتمثل في ما قدمناه، وفي المضمر من المستوى الثاني (مضاعف) لم نصل إليه بعد، هذا المستوى الثاني الذي سيكون بمثابة (الخيال الذي نحاول استدراجه إلى دائرة الواقع)، بل هو ذلك الشيء المتكبر الذي لا يريد أن تحتجزه اللغة، إنما الحقيقة الوحيدة التي يمكننا الإمساك بها هي بالضبط ما نقول عنه: (التمثيل السردى للواقع). إن مسألة التأويل والتأويل المضاعف التي حدثنا عنها أومبرتو إيكو ما هي إلا هذا، ولكن بقي ناقصاً - فقط - الوسيلة التي تخرجنا من فخ (التأويل الخاطيء)؛ حيث تتمثل هذه الأخيرة في (القرينة)،

وبالتالي فإننا عندما نتمكن من ربط حادثة (اختفاء الأبواب) وكون "جمال حميدي" (بوابا ثم عميدا للبوابين) في "وزارة الثقافة" ثم هو ضليع في كونه سياسيا بامتياز في (الجزائر المدينة الدولة) فإننا نستطيع أن نطمح إلى إمساك خيط معنوي يقربنا من ماهية (اختفاء الأبواب) كونها شيئا عجائبا لا يمت للواقع بصلة.

لا سيما حين نضيف في الحساب نرجسية السرد في تعامله مع القارئ ومع كل شخوص الرواية؛ "... فلسبب لن يشرحه الكاتب طوال هذه القصة، ولن يحاول التمهيد له، اكتشف جمال حميدي بمجرد ضغطه على زر الإضاءة أن نافذة غرفة نومه وبابها اختفيا"⁹.

لم نجد حقيقة (الأبواب التي اختفت بعد)، لكننا سنتقص دور القارئ/المحقق المتوجس هذه المرة أيضا، لنتابع رحلة البحث في حقائق (المدينة - الدولة) إلى غاية أن نصطدم بـ (...) فكرة جمال حميدي الذي استعانت به الآلهة منذ أن ظهر لها استحالة تعويض الأبواب بأخرى (...) وهناك قدم اقتراحا بتشكيل أبواب بشرية، تحول بين الآلهة وبين الهمج الراغبين في اقتحام عالم لا يخصهم¹⁰؛ إن رهبة المسؤولين الذين يبيعون الوهم والكذب على الرعية لا تعجبها فكرة اختفاء الأبواب لأن الأخيرة تخفي الأسرار، وباختفائها يندثر الأمان وتذهب المصادقية مسافة بعيدة عنها، ليتحول الباحثون عن الحقيقة من خلف تلك الأبواب مجرد "همج" يحاولون اقتحام عالم هو مخصص لمن يظنون أنفسهم آلهة؛ وبهذه المناسبة الخطيرة فإن الأبواب تشير إلى (الأسرار الشريرة) بطريقة مباشرة، والتي تتمثل في كذب الساسة على الرعية والذي استمر بسبب سذاجتهم طيلة عقود من الزمن، ويساعد على كل هذا سذاجة وجهل المواطنين بلا رأس، لا يستيقظون صباحا إلا ليناموا في الليل، معتقدين بأن تلك هي الحياة¹¹ بحيث لم يرتق هؤلاء إلى درجة المقاتلين والميليشيات إلا بعد 5 أيام من حادثة اختفاء الأبواب؛ فالسرد هنا يحاول أن يربط بين ثورة المواطنين وهذه الظاهرة عن طريق الغضب العارم والتصعيد الذي شهدته المدينة الدولة، ولا يمكن بأي شكل من الأشكال أن تخرج الأسباب عن الغضب إزاء الظروف المعيشية البائسة السائدة في المدينة الدولة، والتي تعني فقط طبقة الهمج حسب منظور الآلهة المزيفة، مما خلق هوة فادحة بين الساسة والعامية في المدينة؛ يمكننا أن نسميها "مدينة طبقية" بامتياز؛ كان من مخرجاتها ظهور (...) أناس يدعون إلى أشياء غريبة - كانت إلى وقت قريب جدا شبهة خطيرة تستحق المحاكمة - دعوا إلى ضرورة إعادة النظر في قوانين المدينة الدولة، ورفض عقيدة أن هناك أناس بعينهم أولى بالزعامة فقط، لأنهم من قاموا بالثورة منذ عقود، وبالتالي تبني فكرة مجتمع غير طبقي...¹²؛ يمكننا الشعور بنبرة ساخرة نوعا ما، ليس من فكرة تغيير قانون المدينة بالذات، ولكنها سخرية مقلوقة مضمرة تضرب في عمق غائر جدا/صعب الملاحظة من الوهلة الأولى وخارج السياق التاريخي والاجتماعي الذين فُرخت فيهما الرواية، إذ كيف

لموضوع الطبقيّة أن يعالج في زمن عفا عن هذه الأفكار منذ فناء التاريخ البورجوازي منذ عهد بعيد في أوروبا؟، كأننا بصدد معالجة المسألة بالمقلوب بالقياس إلى الطريقة التي عالجتها رواية "البؤساء" للكلاسيكي الفرنسي "فيكتور هيجو" حيث تم تمجيد هذه الفكرة، وما يقودنا إلى افتراض وجود السخرية هذه هو الغرابة التي يبديها السرد ذاته بصراحة مطلقة إذ بدأ المشهد بعبارة (أناس يدعون إلى أشياء غريبة). ولكن؛ بمنظور من يتحدث في السرد محاولة التقزيم من هذه الفكرة؟ إنه لا يمكن أن يتحدث إلا من منظور الآلهة التي تحكم المدينة لأنه الطيف الوحيد الذي صرح بضرورة إيجاد أبواب بديلة في أقرب وقت ممكن؛ وهذا الطيف هو من أصر على تكليف "جمال حميدي" بإلقاء خطاب على الجمهور ينمي إلى أذهانهم فكرة سوء زوال الأبواب، ويسوقها إليهم على أساس أنها مشكلة تخصهم جميعا ولا تخص الطبقة الحاكمة فحسب وبالتالي فإنه يملك الحل بسبب خبرته وكفاءته. من هنا تحديدا سوف نكتشف المرونة غير البسيطة في تنقل الروائي بين المنظورات داخل عمله الذي يبدو متشظيا/فوضويا ولكنه شمولي، عميق، وفلسفي، بل قيمة تاريخية في حقيقته.

2-3 توظيف الأسطورة والأماكن المقدسة:

وظف الروائي الأسطورة حيث نجد سخرية سردية مشابهة من الشخصيات الآخرين في مجتمع المدينة الدولة؛ حيث تمت الاستعانة هذه المرة بالأسطورة في عملية التعنيف السردية ومحاولة الازدراء وتقمص دور الكاتب النرجسي المحق في كل ما يفعله ويقول، وتحولت المدينة الدولة إلى مدينة مقدسة حيث اجتمعت فيه الآلهة مع البشر... "ثم تناسخت من جديد، لتولد أنصاف الآلهة، وبسبب الحنين الأول إلى ما كانت عليه، تخيرت مواقعها في "المدينة - الدولة"¹³. ثم يحتل المكان حيزا حاسما في عملية التدليل على أشياء مهمة كثيرة، حيث ساعدت الشرفة العالية أحد أنصاف "الآلهة المحظوظين ربما كان إله الحديد أو السكر أو الزيت أو... المهم كان إلها يطل كل مساء من تلك الشرفة السماوية، كما يجدر بكل إله أن يفعل استمتعا وتأكيدا لمكانته الفوقية المقدسة"¹⁴ وعلى الرغم من كل هذا فهذا الكائن ليس سوى واهم.

ومن الأماكن المقدسة التي وظفها الروائي "المسجد" الذي يعبر عن مدى الاهتمام بالجانب الديني الذي يبقى المرجع، والحل للأزمات النفسية التي تعيشها الشخصيات، والتي تلجأ إليها وقت الشدة، هذا هو حال إبراهيم بافلولو فقد كان حريصا على الصلاة في المسجد، ف"وقتما وصلت دعوة جمال حميدي، كان يستعد للخروج إلى المسجد. فقد كان رجلا يقدر الله و يحبه للأسباب الوجيهة، التي تضمن له البقاء صامدا في زمرة اللامرئيين. و كعاته منذ مجيئه إلى العاصمة، كان ينوي التوجه إلى مسجد (الأخوة)

بحي (تونجين)، أين يجدر بأي (ميزابي) يحترم إباحيته أن يصلي¹⁵ ويمثل هذا المقطع النشأة الدينية لإبراهيم باقولولو، انعكست على سلوكاته و تصرفاته. فهو يحرص على الصلاة في المسجد، التي زاد فيه حب الخير و طيبة القلب.

كما يذكر السارد طبقة الميزاب من خلال حرصهم على الصلاة دون غيرهم" بالطبع، لم يكن ليصرح بذلك علنا و أحيانا حين يلح عليه بعضهم للصلاة معهم في أقرب مسجد كان يتحجج العمل في محل الخردوات الذي يملك في الدوق (ديكار) دون أن يعلن ما لقّنه صبيًا في الصلاة في مسجد غير الإباضي لا تجوز فقد كان (إبراهيم باقولولو) رجلا يفهم في الأصول و يفهم أكثر أن البقاء لا يحتاج أحيانا إلى القوة بقدر ما يحتاج إلى إظهار مزيد من الضعف"¹⁶

تظهر قدسية هذه البنية المكانية (المسجد) كمتنفس، وراحة وجدانية تخفف من وطأة المشاكل اليومية المعاشة، وتخفف العبء على الشخصيات المسلمة مثل... التي تصارع تيارات متناقضة تؤثر عليها سلوكيا(القيم الدينية والأخلاقية، اللباس الشرعي، حرمة الاختلاط، وبالمقابل التحرر النفسي والجسدي، كسر المحرم، نقد النظام...).

3-3 تمثيلات الهوية/المثل الشعبي

تمثل الأمثال الشعبية الهوية الثقافية للمجتمعات، فهي نوع من أنواع التعبير عن التجارب الإنسانية المستنبطة من الواقع، ف"المثل الشعبي نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ و حسن المعنى و لطف التشبيه، وجودة الكناية و لا تكاد تخلو منه أمة من الأمم و مزية الأمثال أنها تتبع من كل طبقات الشعب"¹⁷ ولهذا عبرت عن التجارب الإنسانية بما تحمله من إيجابياتها (السعادة) و سلبياتها (الحزن)، فمثلا في قوله: "إن ما لا تراه العين لا يوجع القلب"¹⁸، فدلالة هذا المثل أن المشاعر و الأحاسيس تتأثر بالأفعال و التصرفات المحسوسة أكثر مما لا تراه ويمر عليها دون أن تلمحه. وهنا الروائي يمثل لنا الظلم والاحتقار و عدم الاهتمام التي تعانيه الأحياء الداخلية أو الفرعية في العاصمة. بالإضافة إلى أن الأمثال الشعبية المورثة التي يفترض بها أن تكون حكما صالحة لكل زمان ومكان قد صارت غير ذات جدوى حسب منظور البيئتنا المشوهة في سلالمة ترولار عندما قفزت الطماطم "مع جل الخضروات إلى مرتبة الفواكه"¹⁹؛ وبالتالي فقد صارت أمثلة شعبية تصور لنا ضعف الجانب الاقتصادي و الاجتماعي لهذا المواطن المغلوب عليه.

3-4 السخرية من الأنا وتمجيد الآخر:

وظف "سمير قسيبي" العنف السردي المتخفي خلف عباءة السخرية والكوميديا في مقاطع هذه الرواية، حيث حاول السرد في سلالم ترولار أن يصفع كل معتقد أو مقدس أو متوارث شعبي لدى "الشعب العظيم"؛ حيث كان النوع من أفراد "أولاد الفاميليا/الشعب العظيم/سليل الثورة العظمى" "يؤمن بوجود كائن أسمى يجلس في عرشه بسماء غير السماء الطبيعية يرى الجميع من دون أن يراه أحد (...). وكان من العدل بأن قسم الأرزاق بين الناس، بحيث جعل رزق عصام كاشكاسي فيما قد يخلفه الناس من زبل وقمامة"²⁰

كما نجد الروائي سمير قسيبي يرسم لنا صورة (الأنا) والتي تمثل الواقع الجزائري و مقارنتها "بالآخر" الغربي في مرسيليا، حيث نجد السارد يصف لنا و بسخرية ما تعيشه المدينة الدولة من الوضع المزري في كل المجالات حيث نجد فيها " عمارات متسخة. وجوه متعبة غير بشوشة. صناديق قمامة ممتلئة. شوارع قذرة. أحتاج إلى أرصفة تركز عليها السيارات. رجال الشرطة مخفيين. سلطة تكذب. كما تأكل الخبز. طوابير. متشردين. متسولين. بذاءة. حكومة مرتشية. برلمان سخيف. شوارع بلا مكتبات. مذن بلا قاعات سينما. بلا مسارح. رجال لا يحلمون. لا يعيشون. يبقون فقط على قيد الحياة"²¹ في المقابل نجد يمدد الآخر الغربي (مرسيليا)

إذ يصف لنا أحد الشوارع هناك "شارع الصدقة؟ مكان مذهل ببنائاته الكنيسة. لا عمارات. هواء نقي. تتوزع فيها المطاعم و المقاهي"²² فمن خلال القول يتبن لنا تمجيد الكاتب للآخر من خلال التقدم و التحضر في مختلف المجالات الحياتية.

و أضف إلى ذلك حديث الروائي تأثر الذات الجزائرية بالآخر (فرنسا) في عاداتهم و تقاليدهم "كان دكان المأكولات السريعة على بعد أمتار قليلة فقط بمحاذاة النفق الجامعي المتخصص في "المحاجب"، وهي أكلة جزائرية كثيرا ما وُصفت على أنها ترجمة غير وفية لما قد يُعد في الجانب الآخر من البحر "بيتزا"²³. وهنا نجد الكاتب يتحدث عن البيتزا المشوهة عند الجزائريين والتي أخذت تسمية جديدة المحاجب.

3-5 صورة المثقف في رواية سلالم ترولار

عرج سمير قسيبي في روايته "سالام ترولار" على موضوع مهم يتعلق بالتهميش والظلم الذي يعانيه المثقف و المبدع على السواء، إذ يريد السارد كشف الأنماط الثقافية السائدة في المجتمع، فنجد شخصية

الكاتب في النص تعجز عن الكتابة و الإبداع وغير قادرة على التدخل في المشهد الثقافي الإبداعي، " فقد ولد الكاتب بالصدفة إنسانا قبل خمسة وأربعين عاما. من دون أن يكمل الشهر الثامن في بطن أمه. ثم ولد كاتباً بالصدفة أيضا قبل عشر سنوات"²⁴ وهو مؤلف الرواية نفسها "سلام ترولارد" ينشر رواية كل عام تحت اسم رجل آخر. إنه شخص يتخيل الإبداع، يقول السارد في رسالة أرسلها لزوجته: "بدأت أشعر بالغربة ليس لأنني في وطن ليس وطني بل لأن ملامحي بدأت تختفي أخبرت صاحب اسمي بذلك وبحاجتي إلى مكان في مرسيليا يذكرني بالوطن ... شوارع بلا مكتبات بلا قاعات سينما، بلا مسارح رجال لا يحملون لا يعيشون يبقون فقط على قيد الحياة أي شيء يشبه الحد عن العظيمة التي اسميها وطن"²⁵ بهذه الكلمات يشعر الكاتب بالغربة والحنين لأنه في مكان مختلف عن وطنه، فيصف حال بلده وما يعيشه يوميا في المدينة الدولة وهو بذلك حزين عن الأوضاع المزرية التي يعينها مجتمعه في كل المجالات و خاصة الجانب الثقافي السائد، حيث يقول " هل تصدقن أنهم على عكسي أنا يصدقون أنني كاتب ؟حتى أنني وأنا أكتب لكي، لم تصدقي، كيلا نعرف رغم كتبي السبعة، أنني أكتب شيئا كل ما حدث أنني رجل تعثر ذات يوما بكلمات، لست كاتباً"²⁶ ، فالسارد رغم كتبه السبعة لا يشعر أنه كاتب و هذا للرفض الذي وجده في بلده، من خلال محاولة تغييب صوته. كما نجده يصف المثقف المهمش فيقول " مع ابتعاده عن الكتابة، بدأ يشعر بالملل من كل شيء لم يعد قادر على الشعور بالمتعة كما في السابق أكبر ... ما مخاوفه ومواجهة حقيقة أنه لم يعد يملك موهبة في الكتابة"²⁷ وبهذا فهو مثقف عانى من الظلم والقهر والتهميش ما جعله يؤمن أنه لا يملك موهبة الكتابة وهنا نجده يمثل "شخصية المثقف الانهزامية ... متسلمة لقدرها ومصيرها، ولأشكال القمع والاضطهاد المختلفة من قبل أجهزة السلطة السياسية أو سلطة المجتمع"²⁸ وهنا يصور سمير قسيمي مشهد السياسي الحاذق في الكذب والنفاق والمقنع في آن واحد، يقابل هذا متلقي بائس يصدق الكلام المعسول للسياسي هذا؛ لكي يعود الإنسان بلا رأس ليغزو المشهد الثقافي في المدينة - الدولة - من جديد، بسذاجته وعفويته.

وفي مقطع آخر يصف الناص حالة المثقف: " مزال الكاتب هو هو ... كاتباً متخفياً، اسما مجهولاً يستمتع بمشاهدة خلقه يتسلق سلما لم يبتكر من أجله، لسنوات، نجح الكاتب في إيهام نفسه بأنه يجد المتعة في رؤية شخص فاشل يدعي النجاح فشخصية الكاتب في الرواية تمثل صورة الكاتب أو المبدع أو المثقف المهمش كونه ينشر أعماله الأدبية باسم شخص آخر لا علاقة له بالإبداع والكتابة، وهذا لشعوره بعدم الارتياح أو الاستقرار إذا نشر باسمه فيضطر إلى التخفي، يقول الروائي: " ومع ابتعاده عن الكتابة، بدأ يشعر بالملل من كل شيء لم يعد قادر على الشعور بالمتعة كما في السابق ... أكبر مخاوفه ومواجهة حقيقة أنه لم يعد يملك الموهبة"²⁹ فهو بذلك عانى من الظلم و القمع و التهميش، مما

جعله يعتقد أنه لا يملك موهبة الكتابة. ولهذا جعل الروائي من قصة الكاتب موضوعاً أساسياً أراد معالجتها حتى ينهض بالمستوى الثقافي عامة والأدبي خاصة عن طريق التحرر من الرقابة المفروضة على جميع الأنواع الأدبية و الاهتمام بالمتقنين والمبدعين و السماح لهم بالتعبير ونقد الواقع و المساهمة في النهوض بالمجتمع.

4 - خاتمة:

- ما يمكننا استنباطه من كل هذا هو أنّ مصطلح "التمثيل الثقافي" مرتبط بشكل مباشر/ لازم ب: الأنا/ الآخر ويمكننا إضافة "الهوية الثقافية" الذي يلتصق بطرفي التجاذب الثقافي و الإيديولوجي و السياسي وكل ما هو من هذا القبيل؛ حيث نجد التنافر/ التجاذب هما العاملان الرئيسيان اللذان يفرضان وجود الاختلاف و التشابه؛ ومنه التأثير و التأثر.
- نسجت لنا رواية سلالم ترولارد أحداثاً واقعية و بعثت رسالة تكشف لنا أسرار الدولة و تعرض الواقع و العلاقات غير الشرعية التي تمارسها السلطة في تلك الفترة.
- تحمل الرواية رسالة اجتماعية ممزوجة بالسياسة تعبر عن الشعور باليأس في مواجهة الفوضى و الاستبداد و الظلم. فهي تعالج موضوعاً بالغ الأهمية يتمثل في محاولتها تقديم صورة عن الدولة المدينة/ النظام الاستبدادي.
- لعل أبرز تمثيل غلب على الرواية هو تمثيل السلطة/ الهيمنة، كون الرواية تعالج ظاهرة الاستبداد و التسلط داخل النظام الشمولية.
- وظّف الروائي مجموعة من الشخصيات الأسطورية لتتقمص بعض الشخصيات السياسية في الواقع الجزائري.
- تطرقت الرواية إلى موضوع المثقف في المجتمع الجزائري و ما يعانيه من ظلم و احتقار و تهमيش،
- تموضعت الهوية في رواية سلالم ترولارد بطريقة غير مباشرة، حيث كانت الأمثال الشعبية نوعاً من أنواع التعبير عن التجارب الإنسانية المستنبطة من الواقع.
- جسدت الرواية العديد من صور السخرية من الأنا العربية الجزائرية و تمجيد الآخر الغربي الفرنسي.

5- هوامش البحث

- ¹ حارش، نسيم، التمثيل الثقافي للآخر في كتابات الجاحظ، (2018)، مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة، الجزائر، ع 10، ص 261.
- ² جاسم الموسوي، محمد، النظرية و النقد الثقافي: الكتابة العربية في عالم متغير، واقعها، سياقاتها وبنائها الشعورية، (2005) المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط 1، ص 1.
- ³ إبراهيم، عبد الله، السردية العربية الحديثة، تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، (2003) المركز الثقافي العربي، ط 1، ص: 60.
- ⁴ مهادي، منير، المتخيل السردى و التمثيل الثقافي في خطاب إبراهيم النقدي، (2014)، مج 5، ع 16. <https://search.mandumah.com/Record/718436>، ص 7، 2022/09/12
- ⁵ كاظم، نادر، المتخيل الثقافي بوصفه وسيطا بين الأنا والعالم، (دراسة في صورة الأسود في الثقافة العربية)، (2004) مجلة محاور، مجلة النقد الأدبي و الدراسات الثقافية، عدد خاص بالنقد الثقافي، ع 1، ص 187-188.
- ⁶ المصدر نفسه ص 187-188.
- ⁷ قسيبي، سمير، رواية سلالم ترولارد، (2019) منشورات البزخ المتوسط، ط 1، ميلانو، إيطاليا، ص 145-146.
- ⁸ المصدر نفسه: ص 112 - 113.
- ⁹ المصدر نفسه، ص 21.
- ¹⁰ المصدر نفسه: ص 79.
- ¹¹ المصدر نفسه، ص 79.
- ¹² المصدر نفسه: ص 80.
- ¹³ المصدر نفسه: ص 33.
- ¹⁴ المصدر نفسه: ص 33.
- ¹⁵ المصدر نفسه، ص 27.
- ¹⁶ المصدر نفسه: ص 28.
- ¹⁷ أمين، أحمد، قاموس العادات و التقاليد و التعابير المصرية، (1953)، دط، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، مصر، ص 61.

¹⁸ سمير قسيبي: سلالم ترولارد، ص 59.

¹⁹ المصدر نفسه، ص 49.

²⁰ المصدر نفسه، ص 46

²¹ المصدر نفسه، ص 98-99.

²² المصدر نفسه، ص 103.

²³ المصدر نفسه ص 49.

²⁴ المصدر نفسه، ص 69.

²⁵ المصدر نفسه، ص 99.

²⁶ المصدر نفسه، ص 93.

²⁷ المصدر نفسه، ص 59.

²⁸ غشير، سامية تمثيلات المثقف في رواية "غرف الذكريات" لـ "بشير مفتي"، (2006) مجلة الميادين

للدراستات في العلوم الإنسانية، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، ع 2، ص 187.

²⁹ المصدر نفسه، ص 59.

6- قائمة المراجع

1- حارش، نسيم، التمثيل الثقافي للآخر في كتابات الجاحظ، (2018)، مجلة آفاق للعلوم، جامعة

الجلفة، الجزائر، ع 10.

2- جاسم الموسوي، محمد، النظرية و النقد الثقافي: الكتابة العربية في عالم متغير، واقعها، سياقاتها

وبناها الشعورية، (2005) المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط 1.

3- إبراهيم، عبد الله، السردية العربية الحديثة، تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير

النشأة، (2003) المركز الثقافي العربي، ط 1.

4- مهادي، منير، المتخيل السردي و التمثيل الثقافي في خطاب إبراهيم النقدي، (2014)، مج 5، ع

16. 2022/09/12، ص 7، <https://search.mandumah.com/Record/718436>

5- كاظم، نادر، المتخيل الثقافي بوصفه وسيطا بين الأنا والعالم، (دراسة في صورة الأسود في

الثقافة العربية)، (2004) مجلة محاور، مجلة النقد الأدبي و الدراسات الثقافية، عدد خاص بالنقد

الثقافي، ع 1.

- 6- قسيبي، سمير، رواية سلالم ترولارد، (2019) منشورات البزخ المتوسط، ط1، ميلانو، إيطاليا، ص 145-146.
- 7- أمين، أحمد، قاموس العادات و التقاليد و التعابير المصرية، (1953)، دط ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، مصر.
- 8- غشير، سامية تمثلات المثقف في رواية "غرف الذكريات" لـ "بشير مفتي"، (2006) مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، ع2.